مغارة الموت

بقلم دكتور : حسام العقاد

ريشة الفنان : عبد الناصر شعبان

المركز العربى الحديث
١٠٣ ش الإمام علي ـــ ميدان الإسماعيلية
مصر الجديدة القاهرة ت / ٢٧٠٦٠٤٨

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولي
٢٠٠٠ م - ١٤٢١ هـ

المركز العربى الحديث
١٠٣ ش الإمام علي ـــ ميدان الإسماعيلية
مصر الجديدة القاهرة ت / ٢٧٠٦٠٤٨

التوزيع فى تونس :
سويس 2 مكرر نهج على الرياحى مونفلورى 1008 تونس - هاتف : 350553

جَلَسَ السِّندبَادُ البَحَرى وَسطَ أصْحَابه فِى إحْدَى قَاعَات قَصْره الفَخْم ، وَقَالَ :

ـ أشْتَاقَتْ نَفْسى إلى السَّفَر وَالتِّرحَال ، وَمَللتُ حَيَاةَ التَّرف وَالنّعيم ، فَقَرَّرْتُ أنْ أجَهِّزَ نَفْسى لرْحلَة جَديدَة ، أرَى فيها مُدنٌ وَجُزُرٌ جَديدَةٌ ، وَأتَمَتَّعُ بمُشَاهَدَة بلاَد اللَّه الوَاسعَة ، وَأعمَلُ وأتَاجر منْ جَديد ، وَرَكَبتُ السَّفينَة ، وَبَدأَت الرحلَةُ ، وَتَنَقَّلْتُ من مَدينَة إلى أخْرَى ، أتَاجرُ وَأتَجَولُ وَأتَمتَّعُ بالمَنَاظر الجَميلة ،

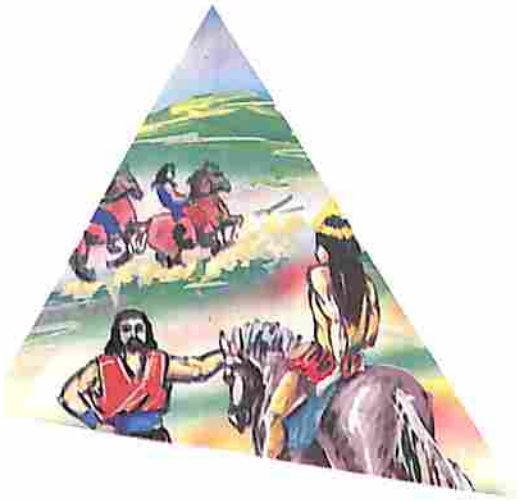

وَذَاتَ يَوْمٍ ، وَالسَّفِينَةُ فى وَسَطِ الْبَحرِ ، هَبَّت عَاصِفَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَثَارَتْ الأَمْوَاجُ ، وَتَرَنَّحَت السَّفِينَةُ ، فَتَضَرَّعْنَا إلى اللَّه أنْ يُنْقِذَنَا ، وَاسْتَمَرت العَاصِفَةُ ، فَغَرِقَت السَّفِينَةُ ، وَسَقَطَ النَّاسُ فى البَحرِ ، وَرُحْتُ أُقَاوِمُ الغَرَقَ ، وَأَعُومُ بِكُلِ جُهْدِى حَتَّى تَعَلَّقْتُ بِلَوحٍ خَشَبِى مِنْ أَلْوَاحِ

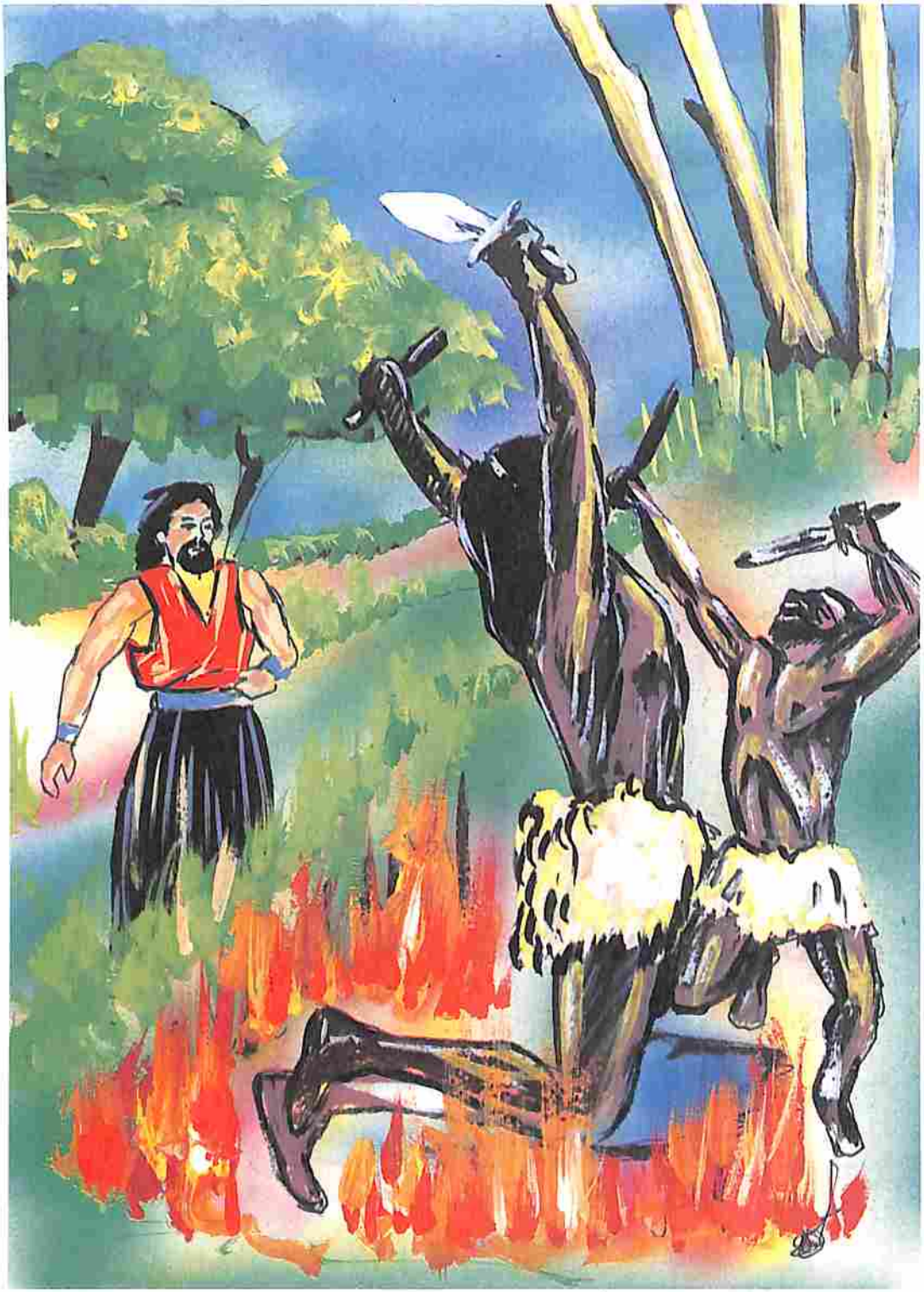

السَّفينَة ، وَمَعى جَمَاعَةٌ منَ التُّجَار ، وَرُحْنَا نُجَدِّفُ بأيْدينا ، وَالرياحُ الْقَوِيَةُ تَدْفَعُنَا ، وَقَاوَمْنَا الغَرَقَ وَالأمْوَاجَ لَمُدَة يَوْم كَامل ، حَتَّى وَصَلْنَا إلى جَزيرَة ، فَارْتَمَيْنَا عَلى شَاطئِها وَنَحْنُ فى غَايَة التَّعَب وَالْجُوعِ وَالْبَرد وَالخَوْف وَاستَغرقنَا فى النَّوم . .

وَفى الصَّبَاح أستَيْقَظْنَا وَتَجَولْنَا فى الجَزيرَة ، وَرَأَيْنَا بنَاءً ضَخْمًا فَاتَّجَهْنَا نَحْوَهُ وَمَا كدْنَا نَقْتَربُ حَتَّى غَادَرَهُ مَجْمُوعَةٌ منَ الرَّجَال ، وَأَلقَوْا الْقَبضَ عَلَيْنَا وقَادونا إلَى

مَلكهمْ ، فَدعَانا إلَى الْجُلُوس ، وَأمَرَهُمْ بإحْضَار الطَّعَام إلَينا ، فَأحْضَرُوا طَعَامًا غَريبًا لَمْ تقبله نَفْسى ، فَرَفَضْتُ أنْ آكُل منْهُ ، بَيْنَما رَاحَ رفَاقى يَأكُلُونَه بشَرَاهَة . . مَنْ لُطْف اللَّه بى أنِّى لَمْ آكُلْ هَذَا الطَّعَامْ . .

فَقَدْ كَانُوا يَضَعُونَ به مَادَةً أذْهَبَتْ عُقُولَ رفَاقى ، وَجَاءَ رجَالُ الْمَلكْ ، فَذَهَنُوا أجْسَامَ رفَاقى بالدِّهْن ، وَجَعَلُوهُمْ يَشْرَبُونَ الدِّهْنَ ، وَتَابَعْتُ مَا حَدَثَ لَهُمْ بخَوف ، لَقَدْ انْفَتَحتْ شَهيَّتُهُمْ ، وَرَاحُوا يَأكُلونَ بشَرَاهَة ، وَعَرَفْتُ أنَّ هَذه الْقَبيلَةَ

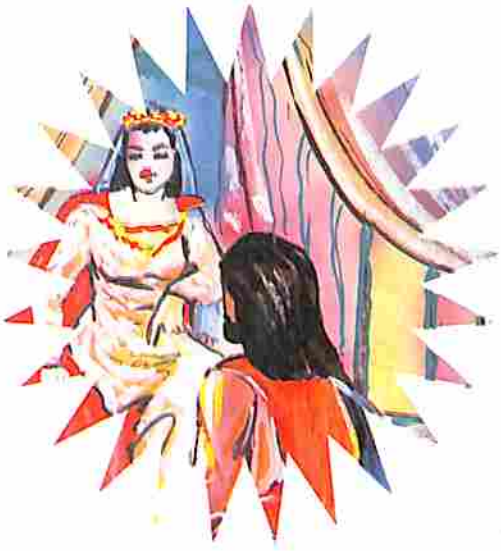

تَأكُلُ لُحومَ الْبَشَر ، فَهذَا الطَّعَامُ جعَل رفَاقى يَأكُلُونَ كَثيراً ليَسْمَنُوا قَبْلَ أنْ يَذْبَحُهُمْ رجَالُ الْقَبيلةُ ليَأكُلُوهُمْ . . وَهُمْ لاَ يَشْعُرونَ بما يَحْدُثُ لَهُمْ . . بُعْدَ أنْ فَقَدوا عُقُولَهم . وَتَملكَنى حُزْنٌ شَديدٌ عَلى رِفَاقِى ، وَظَللتُ أيَّامَاً لاَ آكُل

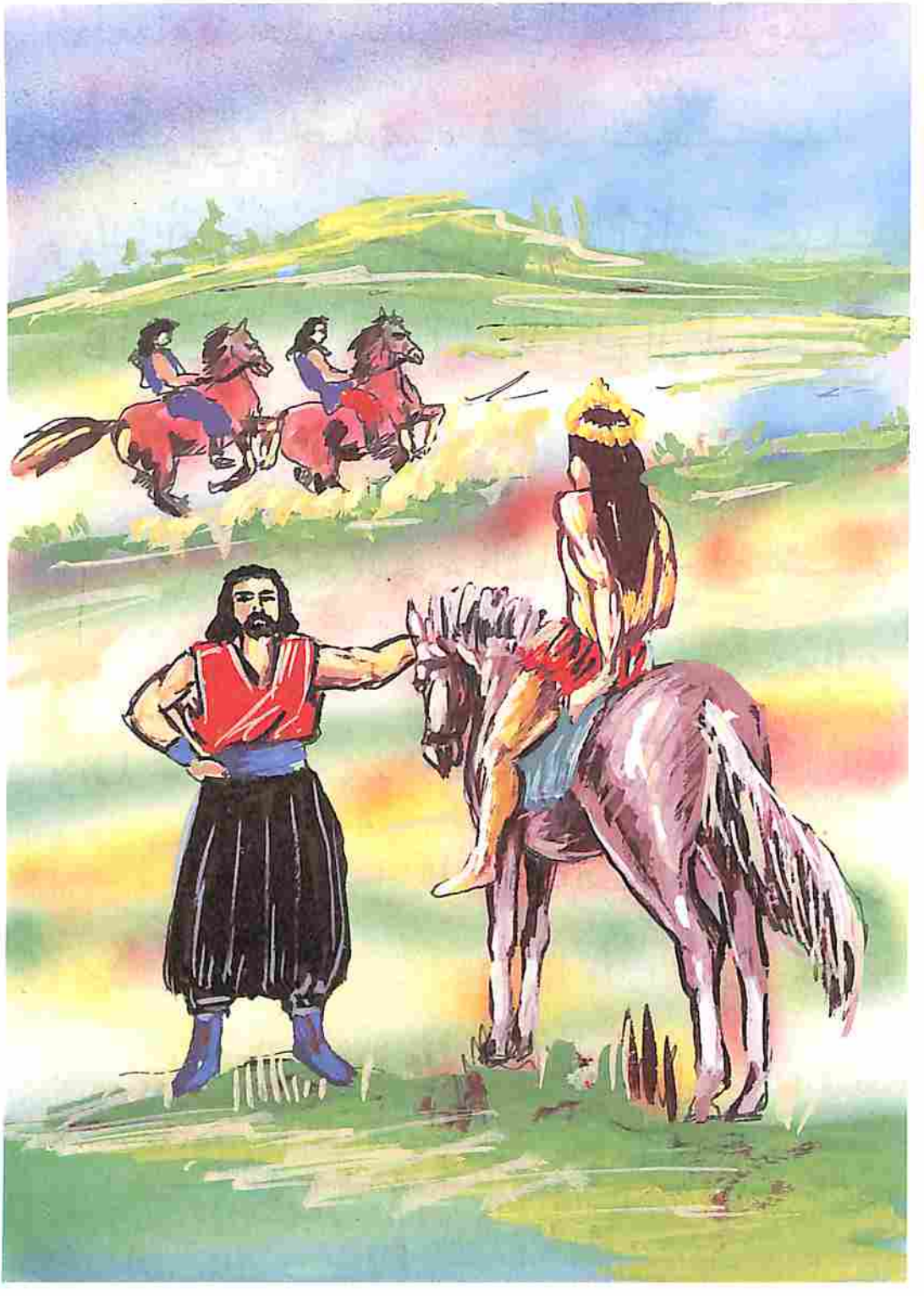

الطَّعَامْ، حَتَّى يَأسَ رِجَالُ الْقَبيلة منِّى ، وَتَركُونى وَحْدى ، فَصرتُ مُبْتَعِداً ، وَوَجَدْتُ بَعْضَ النَبَاتَات فَأكَلْتُ منْهَا ، وَظَلَلتُ عَلى هَذه الحَالْ طِوالَ أسْبُوعٍ كَاملْ .

وَفَى صَبَاحِ الْيَومَ الثَّامن لاَحَ لى شَبَحٌ منْ بَعيد ، وَتَوجَّستُ خيفَةً ، وَسرتُ إليه وَأنَا خَائفٌ ، وَإذا بعَدد منْ الرِّجَال يُحيطُونَ مِنْ كُلِ جَانبَ ، وَسَألَنى أحَدُهُمْ :

ـ مَنْ أنْتَ ؟

رَوَيْتُ لَهُمْ قصَّتَى ، فَهَنَّأونى عَلَى

نَجَاتى منْ رجَال القَبيلَة وَظَلَلتُ مَعهُم حَتَّى جَمَعُوا بَعْضَ حُبُوب الفلْفل ، ثُمَّ سرْتُ مَعَهُم إلى سَفينَتهم ، وانطَلَقْنَا إلى جَزيرَتهمْ .

قَدَّمَنى رفاقى إلى مَلك الجَزيرَة ، فَرَحَّبَ بى وَأكْرَمَنى ، وَرَوَيتُ لَهُ قصَّتى فَتَعَجَّبَ منْهَا أشَدَّ العَجَب ، وَأمَرَنى بالطَّعَام فَأكَلْتُ ، ثُمَّ تَجَوَلْتُ فى الجزَيرَة ، وَأحَبَّنى الْجَميعُ ، وَصرْتُ مُقَرَّبًا للملكْ ، وَلاَحَظْتُ أنَّ أَهْلَ الْجَزيرَة يَرْكَبُونَ الخَيْلَ بدَون سُرُج ، فَسَألْتُ الْمَلك : لمَاذَا تَركَبُ الخَيْلَ بدُون سَرُجَ ، إنَّه يُريحُ

الرَّاكب .

سَأَلَنى المَلكُ مُنْدَهشًا : مَا هُوَ السُّرُجَ ؟ إِنَّنَا لاَ نَعْرِفُهُ .

قُلتُ : أَتَأذَنُ لى أنْ أصنَعَ لَكَ وَاحِدًا لِتُجَربهُ .

وَأذنَ لى المَلك ، وَأحْضَرَ لى لَوَازمَ صُنْع السُّرُجَ ، وَبدَأتُ العَمَل ، وَعنْدَمَا انْتهيتُ وضعته عَلَى حُصَان منْ خُيول الملك ، وَقَدَّمْتُه لَهُ ، فَرَكبَ المَلكُ عَلَيه ، وَفَرحَ به أشَدَّ الفَرحَ ، فَأمَر لى بمكَافَأة كَبيرة .

ثُمَّ جَاءَ الْوَزِيرُ وَطلبَ منى واحِدًا ،

وتبعَه كُبَراءُ وعُظَماءُ الْجزيرة ، واسْتعَنْتُ بنَجَّار لصُنْع السرُّج وحدَّاد لصُنْع الركَاب ، وبَدَأنَا نَعْملُ ، ونَبيعُ مَا نُنْتجه لكُبَراء الجَزيرَة ، فَعَظُمتْ مَحَبتى فى صُدورِ الْجَميعِ ، وكَسبتُ أمْوالاً كثيرةً .

قَالَ لى الملكُ ذَاتَ يَوم : لَقَدْ صرْتَ وَاحداً منَّا يَا سنْدبادُ ، وأنَا أُحبُكَ وأقَدِّرُكَ لذَلكَ قَرَّرت أنْ أزَوجَكَ بزوجَة حَسنَاء ذَاتَ مَال وجَمال ، وتَسْكُنَ مَعَى فى قَصْرى حَتَّى لا تُفَكِّر ، فى تَرْكِ الجَزيرة أبَدًا .

قُلْتُ مُوافقًا فى استحْياء : أمْرُكَ يا

مَوْلاىَ . .

وَاخْتَارَ لى المَلكُ زَوْجَةً جَميلةً مَا كدْتُ أرَاهَا حَتَّى أَحبَبْتُهَا ، وَوَهَبنى منزلاً كَبيراً لَهُ خَدمٌ وعَبيدٌ ، فَعشْتُ فى رَاحَةَ وَسَعَادة مَعَ زَوجَتى ، وَقَرَّرْتُ أنْ أَصْحَبُهَا مَعَى إذَا قُدِّرَ لى أَنْ أعُودَ إلى وَطَنى .

وَمَرَّت الأَيَّامُ وَأنَا أعيشُ فى رَغَد وَنَعَيم حَتَّى تَوَفَّتْ زَوْجَةُ جَارى ، وَذَهَبتُ أعَزّيه فَوَجَدتُه حَزينًا مَهْمُومًا ، فَقُلْتُ لَهُ أواسيه :

ـ الْعُمْرُ الطَّويلُ لَكَ يَاجَارىَّ العَزيزْ .

قَالَ جَارى فِى أسَى : لَمْ يُعْدِ فى عُمْرى

غَيْرُ يَوْمٍ واحِد فَقَطْ .

قُلْتُ ناهراً : لاَ تُبَشِّرْ عَلَى نَفْسكَ بالْمَوتِ . . فَأنْتَ بِخَيرٍ . . وَصحتُكَ جَيِّدة .

قَالَ لى فى حُزْن : إنَّها عَادَةُ أهْلِ الْجَزيرَة ، إذَا تَوَّفى أحَد ، يُوضَعُ جُثْمانُه

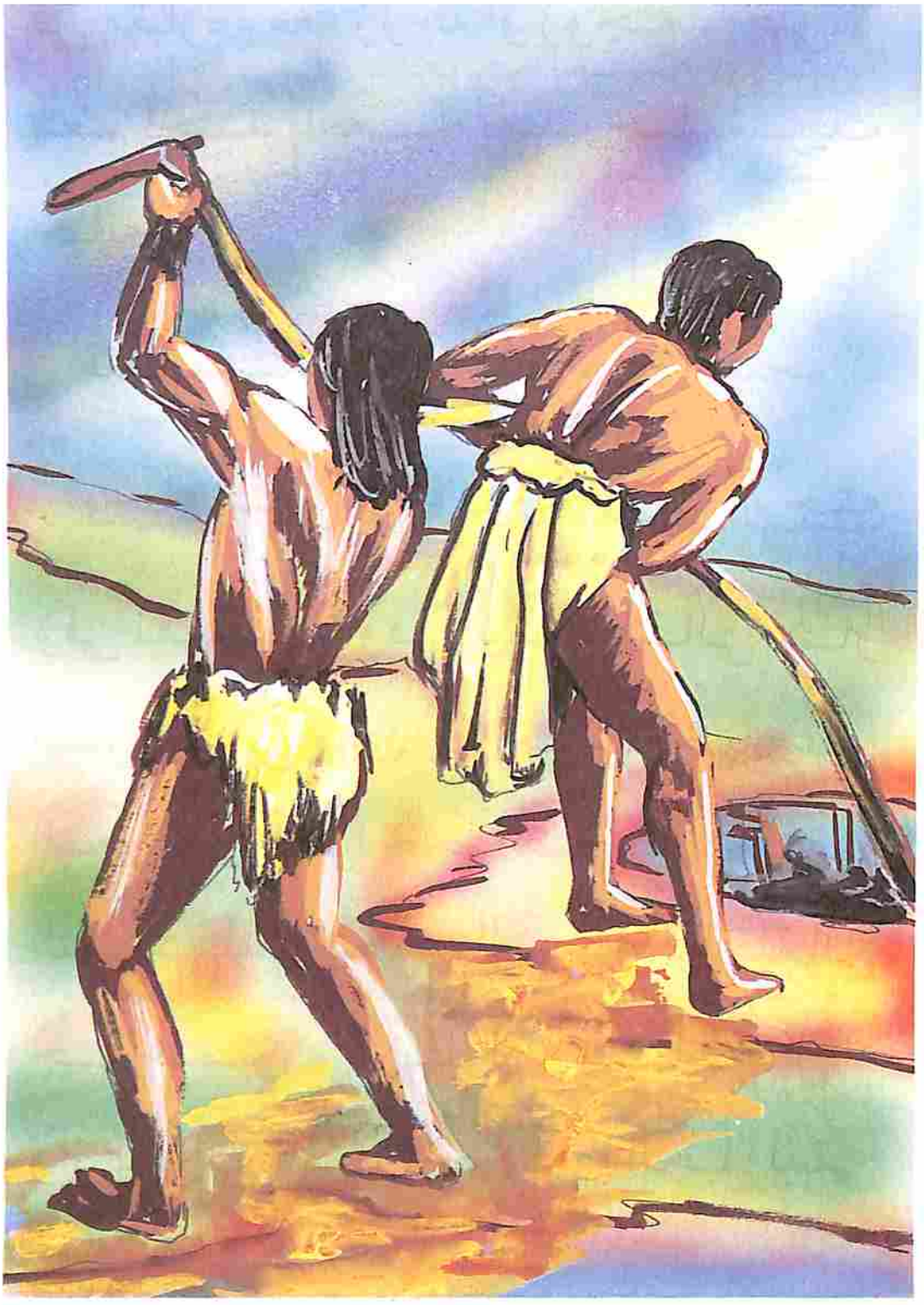

فى مَغَاره ومَعَهُ زَوْجُه أو زَوْجَتُه ، حَتَّى لاَ يَنْعَم أحَـدٌ بالْحَـياه بُعْـدَ رَحِيل شَـرِيكِ حَيَاته .

قُلْتُ مُسْتَنْكراً : مَا هذه الْعَادةُ الْقَبيحةُ ؟

وَجَاء النَّاسُ يُعَزُّون جَارى فى زَوْجته وَفى نَفْسه ، وَفى اليَوم التَّالى سَارَ الْمَوكبُ الى مكَان فى جَانب الجَبَل عَلَى الْبَحْر ، وَرَفَعوا حَجَراً ضَخْمًا ، وَقَذَفُوا التّابُوتَ الذَّى يَحْوى الزَّوجَةَ الرَاحلة إلى جُب عَميق ، وَرَبطُوا زَوّجَها بحَبْل ، وَأنْزَلُوهُ إلَى الجُب ، ثُمَّ رَفَعوا الَحَبْلَ لِيبْقَى

الرَّجُلَ وَحيداً مَعَ بَعْضِ الْمَاء القَليل وَسَبْعَة أرْغفَة منَ الْخُبز ، وَأغلَقوا الجُبَ بالْحَجرِ الثَّقيلِ .

وَسرتُ وَأنَا أرْتعشُ ، فَهَذا الرَّجُل سَيَهلَكُ فى الْجُبِ بَعْدَ أيَام ، وَسَألت الْمَلك :

ـ يَا مَوْلاَىَ . . هَذه الْعَادُه هَل تَتبعونَها مَعَ الْغُرَبَاء أيْضاً ؟

وَكُنتُ أمَنِّى نَفْسى أنْ يَستَثْنينى الْمَلكُ منْ الْعَادَة الرَّهيبةُ ، وَلَكنَّهُ قَالَ :

ـ بالتَّأكيد . . .

وَعشْتُ أيَّاماً فى قَلَق وَعَذَاب ، وَخَاصَّةً بَعْدَ أَنْ مرَضَتْ زَوْجتى ، وَلَمْ يَسْتَغْرق مَرَضُها طَوِيلاً فَقَدْ رَحَلَتْ عَنِ الْحَيَاة . .

وَأيْقَنتُ بالْهَلاك . .

جَاءَ أهْلُ الْجَزيرَة يُعَزُّونَنى ، وَوَضَعُوا زَوْجَتى دَاخل تَابُوك ، وَوَضَعُوا مَعَها كُل جَوَاهرهَا ، وَصَارَ الْمَوْكبُ إلى الْجُب ، وَقَادُونى إلَيه وَأنَا أصْرَخ .

ـ أنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ عَنْكُم . . وَلَيسَ لى شَأنٌ بَعَادَاتكُمْ .

وَلَمْ يَسْمَعُوا كَلامى ، بَلْ رَبَطُونى بالحَبْلِ ، وَوَضَعُوا فى يَدى سَبْعَةُ أرْغِفَةٍ وَكُوبَ مَاء ، وَأَنْزَلُونى إلى أسْفَلَ ، وَأغْلَقُوا فَتْحةَ الْجَبّ بالْحجارة . .

وَجَلَسْتُ وَسَطَ الأمْوات والرَّوائح الْكَريهة أنْتَظِرُ المَوتَ فى ظَلامِ الْجُبِ الدَّامِسْ .

فى الْبدَايةِ كُنْتُ يَائسًا ، ثُمَّ بَدأتُ أفكرُ فى وَسيلة للنجَاة ، وَكُنْتُ لاَ آكُل إلاَّ بَعْضَ كَسَرَاتٍ منَ الْخُبْز كُل عدَّةَ أيَّام ، وَلاَ أشْرَبُ إلاَّ قَطَرات ضَئيلَةً كُلَّ يَوْمٍ ، لِيَكْفينى الزَّاد أطْوَل مُدَّةً مُمْكنَة .

وَكُنْتُ أجْلِسُ خَائِفًا ، وَأقُولُ فِى نَفْسِى :

ـ لَيْتَنِى متُّ غَرقَاً بَدَلاً مِنْ هَذَا الْمَوتِ الْبَطِئ . .

وَسرتُ فِى أرْجَاء الْجُبِّ ، وَأنَا أتَمَنَّى أنْ أجِدَ بِه وَسِيلةً للنَّجَاة ، كَانَ وَاسِعاً كَبِيراً ، وَلَمْ أتَبَيَّنْ أىَّ ثَغْرَةٍ أنْفُذُ مِنْهَا إلى خَارِجِه . .

وَذَات يَوْم ، بَينمَا كُنْتُ جَالسًا وَأنَا أفكرُ فى زَادى الذَّى أُوْشَكَ عَلى النَّفَاذ ، إذَا بى أَسْمَعُ صَوْتَاً غَرِيباً مِنْ أحَد جَوَانبَ الْمَغَارَة ، فَقُلتُ فِى خَوْفٍ : مَا هَذَا الصَّوتُ ؟

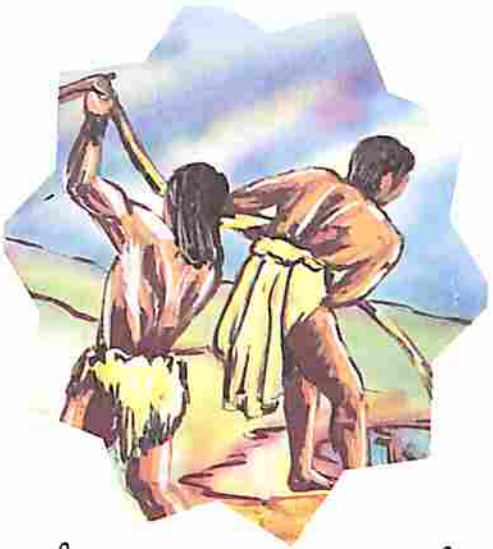

وَتَسلَّحْتُ بعَظْمَة كَبيرة لمُواجَهَة الْخَطَر ، وَأَسْرَعْتُ فى ضَعْفَ إلى مَصْدَر الصَّوت لأرى وَحْشاً صَغيراً يَنْظُر إلىَّ بعَيْنَيه المخيفَتَين .

قَذَفْتُ الوَحْشَ بالْعَظْمَة ، فَفَرَّ هَارِبًا ، وَتَبعْتُه وَأنَا أقولُ :

ـ منْ أيْنَ جَاءَ ؟ . . لاَ شَكَّ أنَّه يَعْرفُ

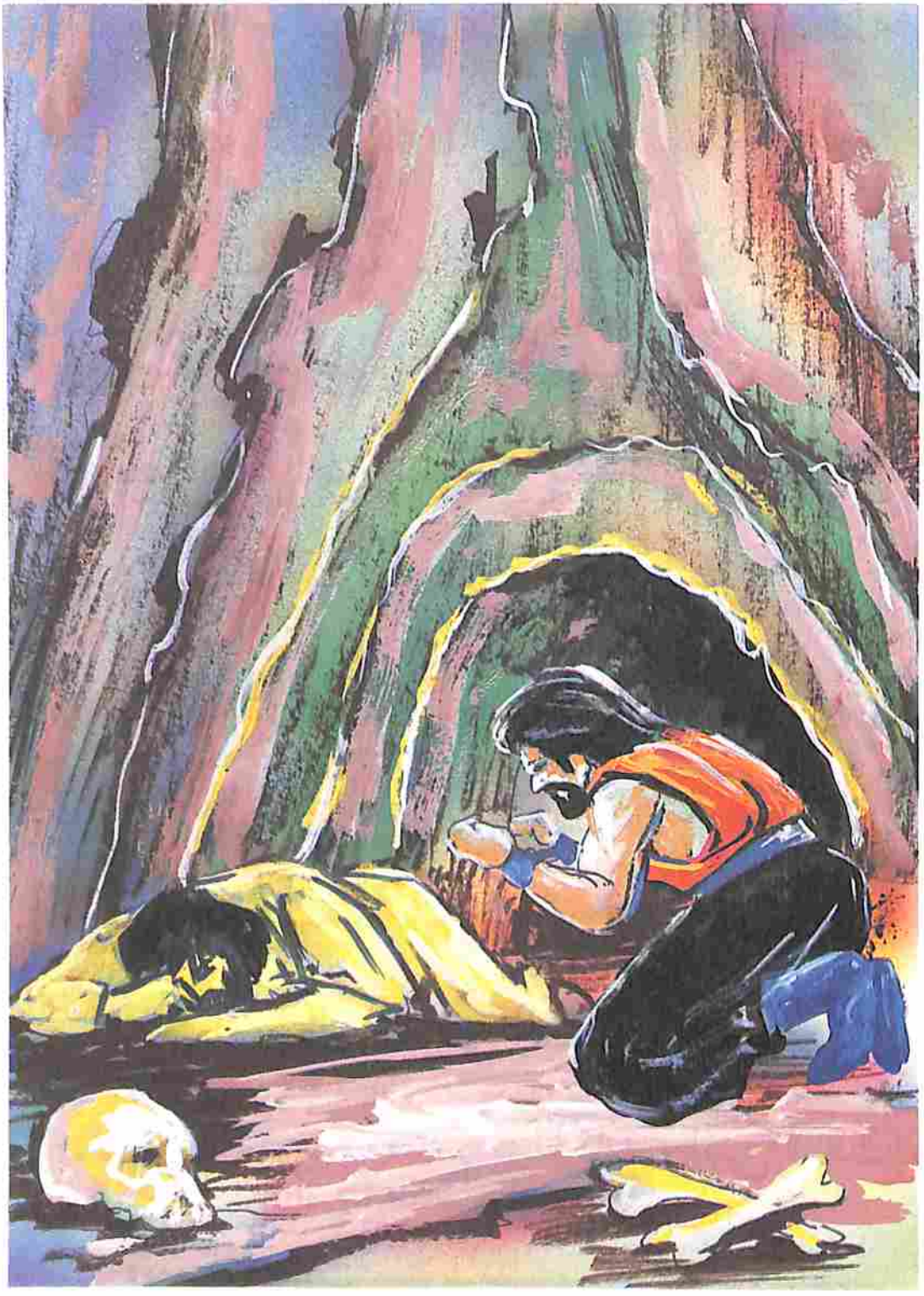

ثَغْرَةً فى الجُب جَاءَ عَنْ طَرِيقها لَوَ تَبعْتُه سَيُرْشِدُنى إليَّها .

وَعَدَوْتُ خَلْفَهُ ، كُنْتُ بَطيئَاَ فَأنَا لاَ أكَادُ آكُلْ مُنْذُ أيَّام طَويلَة ، وَكُلَّمَا تَقَدَّمْتُ لاَحَ لى بَصيصٌ منَ النُّور ، يُبَدِّدُ شَيْئَاَ منَ الظَّلام الْحَالكَ للْجُبَ .

وَأخَذْتُ أتَقَدَّمَ نَحْوَ النُّور ، ولَشَدُ مَا كَانَتْ فَرْحَتى عنْدَمَا وَجَدْتُ ثُقْبَاً فى الْجدَار ، صَنَعَتْهُ الْوُحُوشُ الصَّغيرَةُ عَلَى مرِّ الأيَام ، ظَنَنْتُ فى البدَاية أنَّهُ وَهْمٌ أوْ حُلْمٌ ، فَاقْتَربْتُ منْهُ ، وَتَأكَّدتُ أنَّنى لَسْتُ

واهماً ، فَأطَلْقتُ صَيحةَ فَرَحٍ ، وَرُحْتُ أوَسِّعُ الثُّقْبَ ، وَمَرَرْتُ منْ خَلاله ، لأجدَ نَفْسي عَلَى شَاطئ الْبَحْرِ . .

اَلحَمدُ للَّه ، لَقَدْ نَجَوْتُ .

عُدْت إلَى الْجُب منْ خلاَل الثُّقْب ، وَجَمَعْتُ كُلَّ الْمجُوهَرَات التَّى كَانَ أهْلُ الْجزَيرَة يَضَعُونَها مَعَ المَوْتَى ، وَوَقَفْتُ عَلَى شَاطئ الْبَحْر عدَّة أيَّام حَتَّى كدْتُ أهْلك منْ شدَّة الْجُوع وَالتَّعَب ، حَتَّى رَأيْتُ سَفينَةً قَادمَةً . . .

فَأخَذْتُ ثَوْباً منَ الْمَغَارَة ، وَرَفَعْتُه

بقطْعَـة منَ الْخَـشَب ، وَأخَـذْتُ ألـوحُ لَلسَّـفـينَةَ ، وَرَآنى قُـبُطَانُهـا فَـأرْسَل إلى زَوْرَقَ نَقَلَنى إلى السَّـفـينَة ، فَـارْتَمـيتُ دَاخلها منْ شدَّة الْجُوعِ ، فَأحْضَروا الىَّ الطَّعَـامَ فَـأكَلْتُ وَحَـمَـدتُ اللّه سُبَـحـانَهُ وَتَعالى . . .

وَمَررنَّا على مُدُن وَجُزُر كَثيَـرة قَبْلَ أنْ

نَصلَ إلى بَغْـــدَاد، وَهُنَاكَ أَهْدَيْتُ أَهْلى وأَصْـــحَـــابى بَعْضَ الْمُـــجـــوهَرات ، وَتَصَدَّقْتُ عَلى الْفُقَراء وَالْمَساكين وَارْتَحْتُ عِـدَّةَ أَيَّام مِنْ عَنَاء السَّفَـر وَمَـا لاَقَـيتـه مِنْ صِـعَاب ، وَعُـدْتُ لِحيَاة اللَّهْـو وَالطَّرَب وَالْحَفَلاَت . . .

وَسكَتَ السِّنْدبَادُ البَحرىُّ وَتَصَّدق عَلى السِّنْدباد الحَمَّال بمَائَه مثْقَال ذَهَب ، ثُمَّ غَادَرَ أَصْحَابُهُ الْقَصْرَ بَعْدَ أَنْ وَعَدُوه باللِّقَاء فى اللَّيْلَة القَادمَة .

● نهاية الرحلة الرابعة ●

أسئلة فى القصة

١-ما الشيئ الذى اشتاق اليه السندباد ؟ ولماذا ؟

٢- ماذا حدث للسفينة ؟

٣- كيف نجا السندباد من الغرق ؟

٤- إلى أين اتجة السندباد ورفاقة فوق الجزيرة ؟

٥- هل أكل السندباد مع رفاقة من الطعام العجيب ؟

٦- ماذا حدث للرجال بعد أن تناولوا طعامهم ؟

٧- لماذا كان رجال القبيلة يطعمون السندباد ورفاقه ؟

٨- كيف أفرج رجال القبيلة المتوحشة عن السندباد ؟

٩- كيف غادر السندباد الجزيرة ؟

١٠- ما هى الملاحظة التى لاحظها السندباد فى الجزيرة الجديدة ؟

١١- كيف كسب السندباد أموالاً كثيرة ؟

١٣- لماذا كان جار السندباد حزيناً ؟

١٤- ما هى العادة القبيحة لاهل الجزيرة ؟

١٥- ماذا حدث للسندباد بعد أن ماتت زوجته ؟

١٦- ماذا فعل السندباد فى مغارة الموت ؟

١٧- كيف غادر السندباد المغارة ؟

١٨- كيف غادر السندباد الجزيرة ؟

١٩- فى صفحتين اكتب القصة باسلوبك .

٢٠- اختر عنواناً مناسباً لرحلة السندباد الرابعة .

وإلى اللقاء مع الرحلة الخامسة